أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث 1519-1830 (دراسة نماذج).

The importance of Western sources in writing the modern history of Algeria (study models).

آمنة فاطمة زهرة العيايدة*.

جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله. الجزائر aminafatimazahra.elaaeieida@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال:2022/10./05 تاريخ القبول: 2022/03./17.. تاريخ النشر: 2022/05./01

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن أهمية المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث والتي تحتل درجة كبيرة من الأهمية، مع إعطاء قراءة تحليلية في مضامينها بالتركيز على دوافع المؤرخين ومنهجهم في الكتابة خلال معالجتهم لأهم القضايا التاريخية، بحكم أنَّها غطت النُقص الذي عرفته المصادر المحلية خاصة فيما تعلَّق بالجانب السياسي والعسكري. فأعطت بذلك قراءة مغايرة للظروف والملابسات التي صنعت الوقائع التاريخية، وهي على أهميتها لا تكاد تخلو من ميولات وأهداف تُبعِدها عن سِمة الموضوعية التي يتطلبها البحث التاريخي، وهي ميولات أوجدتها اختلافات إثنية وأيديولوجية تمت صياغة أهدافها ضمن رؤية المدارس التاريخية الاستعمارية.

وتبعا لذلك على الباحث أن يتعامل بحذر مع المادة التاريخية التي تسوّقها هذه الكتابات، ومحاولة الوقوف على مدى مصداقية ما جاء فيها، من خلال إخضاعها للمنطق التاريخي وربطها بالسياقات التي وردت فيها.

الكلمات المفتاحية:

المصادر الغربية -تاريخ الجزائر الحديث –الموضوعية-أيدولوجية.

Abstract:

The purpose of this study is to uncover the importance of Western historical sources in writing the modern history of Algeria, which is of great importance. It provides an analytical reading in its contents with a particular focus on historian's motivation and approach to writing, through handling the most important historical issues, since it covers the shortcomings that local sources have known, especially with regard to the political and military aspects. In doing so, it gave a different reading of the circumstances that created the historical facts, which, as important as they were, were barely devoid of the tendencies and objectives that kept them away from the objective required by historical research, creating tendencies by ethnic and ideological differences whose objectives were formulated within the vision of colonial historical schools.

Accordingly, the researcher should deal carefully with the historical material that these writings promote, and trying to determine the credibility of what they say, by subjecting them to historical logic and linking them to contexts in which it is set out.

Key words: Western historical sources. Subjectivity. Objectivity. Modern history of Algeria.

توطئة:

تعتبر الكتابات التاريخية ركيزة أساسية ينطلق منها الباحث والمؤرخ في كتابة التاريخ، ومن أهم مصادر تاريخ الجزائر الحديث نجد ما كتبه الأجانب من مختلف الجنسيات من فرنسا، أمريكا، ألمانيا، وإسبانيا... وذلك بحكم

* العيايدة آمنة فاطمة زهرة.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

احتكاكهم بالجزائر سلطة ومجتمعا. خلق لنا هذا التنوّع مادة علمية تميزت بغزارتها واختلاف طبيعتها ومضمونها. فنجد من ذلك كتابات الرحالة، شهادات الأسرى، ديبلوماسيون، رجال دين، جواسيس وغيرهم. فاتُخذت هذه الكتابات محور اهتمام العديد من الدراسات نظرا لما تحتويه من معلومات دقيقة وقيمة حول الجزائر في مختلف الجوانب السياسية والعسكرية والاجتماعية. مما سمح للباحثين والدارسين بتوسيع آفاق البحث أكثر من خلال هذا التنوع والاختلاف في الكتابة وحتى في طرح القضايا بوجهات نظر متعددة تتحكم فيها العديد من العوامل والمؤثرات.

وبالتالي الى أي مدى ساهمت المصادر الغربية في كتابة تاريخ الجزائر الحديث في ظل وجود اختلافات جوهرية في توجهات هؤلاء المؤرخين الأجانب التي عكستها جليا تلك القضايا والموضوعات التي خصتها بالدراسة دون غيرها. ومن المهم أيضا تحديد هدف الأيديولوجيا العامة لهذه الكتابات والتي سيكون لها أثر على المدى البعيد في تاريخ الجزائر.

1. دوافع اهتمام الكتَّاب الغربيين بتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية.

تنوّعت المصادر الغربية التي أولت عناية فائقة بتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، فتعددت بذلك الدراسات التي تضمّنت معلومات في غاية الأهمية. ويعود ذلك للاختلاف الاثني والأيديولوجي لأصحابها ووضعهم الاجتماعي في الجزائر خلال تلك الفترة. غير أن الجدير بالذكر أن جميعها كتبت من أجل أغراض وغايات كانت تسعى لتحقيقها. وانطلاقا من ذلك يمكن تصنيفها كالآتي:

1.1. الدوافع السياسية والعسكرية:

اعتُبِر دافع الأوروبيين في كثير من الأحيان تنفيذا لأوامر فوقية ممثلة في قيادات دولهم التي كانت ترسلهم إلى الجزائر (الغالي و فشار، 2017، صفحة 253)، التي يعتبرونها من أكثر الدول التي أضرت ببحرية الأمم المسيحية، فحاولت أن تَرُد الضربة بأساليب متعددة كإرسال الجواسيس لنقل الأخبار بالتفصيل عن البلاد الجزائرية، كما كان يقوم القناصل في الجزائر ممثلين لبلدانهم بتقديم تقارير حول أحوالها من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وهناك دول كالإسبان مثلا استعملوا جواسيس من بين الأهالي الجزائريين وهناك نوع آخر من الجوسسة يتم عن طريق الرحالة (ينظر إلى التعليق رقم01) والأسرى الموجودين في سجون الجزائر والعاملين في قصور الدايات (السليماني، 1994، صفحة 71).

وفي هذا الصدد فقد جاء الأب فرنثيسكو خمينيث (Francisco Jiménez) (ينظر إلى التعليق رقم02) إلى الجزائر سنة 1718 في مهمة ظاهرها إنساني لتحرير الأسرى وبناء مستشفى لهم بوهران، لكن ولأن الباي بوشلاغم ظنَّ بأنَّ الأب خمينيث ومن معه من الذين جاءوا لمعاينة المكان هم جواسيس، وبناءً على ذلك أمرهم بالمغادرة رغم أن وجودهم لم يمض عليه إلا 4 أيام، لكن القنصل الإنجليزي توسط لهم لبقائهم مدة أخرى حتى تتم صلوات العشاء الرَّباني (دي ايبليزا و الوسلاتي، 1978، الصفحات 196-199).

ومما سبق تجدر بنا الإشارة إلى أن هذا النوع من العمليات الاستخباراتية هي وسيلة ناجعة وكفيلة لدراسة الجزائر دراسة عميقة؛ تم اللجوء إليها خاصة بعد فشل الدول الأوروبية في حملاتها العسكرية لاحتلال الجزائر ليتأتى لهم بعد ذلك سهولة السيطرة والاحتلال.

2.1. الدوافع الدينية:

عرفت الجزائر صراعا شديدا بينها وبين أوروبا المسيحية دام طيلة ثلاثة قرون، أثناء التواجد العثماني بالجزائر فقد كان هذا امتدادا للحروب الصليبية. لذلك اهتم الغربيون بتاريخ الجزائر؛ لمعرفة أسرار العهد المشار إليه، ولتحطيم المعنويات التي قد تُحدث تغييرا جذريا بعد نجاحهم في الاحتلال. ومن أجل بلوغ هذه الغاية ركَّزوا اهتمامهم على الدراسات الإسلامية والطرق الصوفية ورجال الدين ذوي النفوذ الروحي (أبو القاسم، منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، 1973، صفحة 10).

ومن هذا المنطلق كانت المصادر الغربية عامة والأوروبية خاصة نابعة من الذاتية مشحونة بالحقد والكراهية للجزائر هدفها الوحيد هو خدمة المسيحية (غطاس، 1988، صفحة 124)؛ فقد كان بعض الباحثين المنتمين إلى مختلف الجمعيات الدينية يعملون على تصنيف كتب دعائية؛ هدفها ترغيب أتباعهم في العطف على الأسرى لجمع موارد مالية، فاتخذوا سبيل المبالغة في وصف القسوة والرعب التي كان يتعرض لها الأسرى المسيحيون في

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

الجزائر. كما كان نشر مثل هكذا تصانيف يسمح بالترويج لأفكار رامية لتغذية الحقد على المسلمين وشن حرب صليبية (بلحميسي، المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العهد العثماني، 1973، الصفحات 74-75).

3.1. الدوافع العلمية:

كانت الجزائر خلال العهد العثماني وجهة للعديد من الرحالة من مختلف الدول الغربية، وكان الفضول العلمي هو أحد الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك. فوجد هؤلاء الدعم المادي من قبل اللِّجان العلمية والجمعيات الأثرية والدينية وهيئات أخرى؛ حيث فُتحت لهم الأبواب لنشر دراساتهم وإتمام أبحاثهم التي غطت جوانب مختلفة من تاريخ الجزائر العثماني (الشارف، 2018، صفحة 450).

كُلف كل من الطبيب بايسونال (Payssonnel) الذي زار الجزائر بين عامي 1724-1725، وكذا الخبير في الطبيعة دي فونتان (Desfontaines) الذي زارها أيضا من 1783 إلى 1786، بالاستكشاف في مصلحة علم النبات والتربة التي مازالت غير معروفة في شمال إفريقيا (Payssonnel & Desfontaines, 1838, p. 8). وكذلك هو الحال بالنسبة للعالم الألماني هابنسترايت الذي أتى إلى الجزائر سنة 1732 مكلفا برئاسة بعثة علمية لشمال إفريقيا للتعرف عن كثب على حيوانات ونباتات تلك المنطقة (هابنسترايت، د.س، صفحة 14).

ومما تقدم ذكره يمكننا أن نشير إلى أنه وبالرغم من أنّ دافعها الظاهري هو الاكتشاف والاستزادة العلمية غير أنها لا تخلو من هدفها الرئيسي وهو الرغبة في الدراسة المعمقة للجزائر من مختلف الجوانب؛ حتى يسهل عليهم السيطرة عليها فيما بعد وهذا ما سنلاحظه في بعض المصادر آتية الذكر من هذه الورقة البحثية.

2. قراءة في مضامين بعض المصادر الغربية.

يلاحظ الدارس لتاريخ الجزائر في الفترة العثمانية؛ أنها كانت محل اهتمام العديد من الكتابات الغربية على اختلاف جنسيات أصحابها، تكوينهم، انتماءاتهم الفكرية وحتى مكانتهم الاجتماعية فمنهم الأسرى، القناصل، الرحالة، رجال الدين والجواسيس. وارتأينا في هذا العنصر أن نسلط الضوء على البعض منها مراعين في ذلك اختيار أهم المصادر التي بقي مُؤلِفُوها مدة زمنية أطول في الجزائر.

1.2.مارمول كاربخال Marmol Carvajal:

يعتبر مارمول كاربخال (ينظر إلى التعليق رقم 03) من الرحالة الاسبان الذين بقوا فترة طويلة في شمال افريقيا، استغل خلالها الفرصة في السياحة والنُزهة في مختلف أطراف البلاد، هذا ما مكَّنه من تعلم اللغة العربية التي استطاع بواسطتها جمع معلومات تاريخية وجغرافية عن البلاد الجزائرية (إسماعيل، 1974، صفحة 74) ضمنَّها في كتابه الموسوم ب "إفريقيا" والذي أتمه سنة 1571م جاءت ترجمته على جزئين:

يتكون الجزء الأول من كتابين؛ أولهما ضمّنه في فصول أعطى من خلالها وصفا عاما دقيقا لإفريقيا وخصائصها الجغرافية، مملكاتها الشعوب القاطنة فيها وحتى الحيوانات الموجودة فيها والتي تفتقر اليها الدول الأوروبية. لينتقل في الكتاب الثاني والذي بدوره ينقسم أيضا إلى فصول تحدث في مجملها عن الرسول صل الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وفتوحاتهم الإسلامية في أوروبا وإفريقيا، وصولا إلى الدول التي قامت في المغرب الأقصى مثل بني مرين، بني وطاس والعلويين (كاربخال، إفريقيا (ج1)، 1984).

أما الجزء الثاني أورد فيه المؤلف كل من أقاليم مملكة مراكش، فاس وتلمسان، وهذا الأخير هو ما يهمنا بشكل أساسي حيث يذكر فيها العديد من المعلومات المتعلقة بالفترة العثمانية في الجزائر ونذكر على سبيل التدليل ما تعلق بالإخوة بربروس ومجيئهم إلى الجزائر، الحملات الاسبانية على الجزائر ودور الاخوة بربروس في صد هذه الهجمات...إلخ (كاربخال، إفريقيا (ج2)، 1989/1988).

2.2. جيمس ليندر كاثكارت James Leander Cathcart:

هو أسير أمريكي وقع في الأسر بعد الاستيلاء على أول سفينة أمريكية في جوباليا عام 1785، وهو الذي ساهم في وضع اتفاقية أبرمت بين الجزائر والولايات المتحدة الامريكية (أعميراوي، 2005، صفحة 28).

تعتبر مذكرات كاثكارت مصدرا مهما وأساسيا في تاريخ الجزائر العثماني، خاصة في ظل قلة المصادر التي تتحدث عن العلاقات الجزائرية الأمريكية، وذلك لِما احتوته من معلومات اختصت بالفترة الممتدة ما بين 1785-

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

1796م، وهي فترة إقامته بالجزائر بصفته أسيرا للداي. حيث غطت المذكرات جوانب عديدة أهمها طبيعة العلاقات الجزائرية الأمريكية والاتفاقيات التي أُبرمت بصفته مفاوضا فيها، كما ركَّز أيضا أثناء إقامته بالجزائر على رصد الحالة السياسية والاجتماعية في الجزائر والحياة في قصر الداي مع تقديم وصف دقيق لها. كما لم يغفل عن الإشارة إلى العلاقات الخارجية للجزائر مع الدول الأوروبية والتي اتسمت بالتنافس والتطاحن من أجل المصالح التجارية والسياسية (كاثكارت، 1982).

3.2. وليام شالرWilliam Shaler :

وليام شالر هو قنصل أمريكي في الجزائر (ينظر للتعليق رقم04)، سنحت له فرصة إقامته في الجزائر بتأليف كتابه المعنون ب" **Sketches of Algiers, Political, Historical, and Civil** والذي نشره سنة 1826 في بوسطن وهو النسخة الأصلية للكتاب (Shaler, Sketches of Algiers, Political, Historical, and Civil, 1826). ونظرا لأهمية الكتاب كان الفرنسيون أول من قاموا بترجمته على رأسهم المكلف بالترجمة لدى الملك شارل العاشر وهو بيانشي **Bianchi**، وذلك سنة 1830 بباريس تحت عنوان **Esquisse de l'Etat d'Alger**ويجب التنويه هنا إلى مقدمة هذه النسخة والتي أكَّد فيها المترجم إلى أن المعلومات التي جاء بها شالر حول الجزائر ستكون بدون شك موضع تقدير ضباط الجيش لكونها مساعدة كبيرة لتوجيه الحملات العسكرية على الجزائر، (Shaler, Esquisse de l'Etat d'Alger, 1830) وهو ما يؤكده الأمريكي "ساموبل" في كتابه الذي نشره سنة 1833 (knapp, 1833, p. 298).

اعتبرت مذكرات شالر إحدى أهم المصادر التاريخية التي تُؤرخ خاصة للعلاقات الجزائرية الأمريكية خلال الفترة الممتدة ما بين 1816-1830، كونه كان عنصرا فاعِلا فيها وشاهد عيان لكل مراحل السلم والحرب بين الطرفين بحكم منصبه كقنصل في الجزائر. فضلا عن ذلك فإن المؤلف لم يغفل للتطرق إلى كل ما يتعلق بالجزائر عن عرض تفصيلي للموقع الجغرافي بتضاريسه، مدنه، حدوده، مناخه وحتى انتاجه الطبيعي، بل تعدى ذلك إلى الحديث عن جميع المجالات السياسية، العسكرية، التعليمية، والاجتماعية بما فيها العادات والتقاليد واللغات السائدة فيه.

ومن المهم التذكير أن المؤلف لم يكتف بسرد الاحداث فقط وانما عزّز ذلك بملاحق توضيحية عديدة أهمها: شروحات للكيل الجزائري ووحدات الأوزان وضَرب الأمثلة عن ذلك وما يقابلها بالوزن الإنجليزي. وملحق حول المفردات الافريقية، وكذلك حول الرسائل التي أرسلت بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية. (Shaler, Sketches of Algiers, Political, Historical, and Civil, 1826)

4.2. توماس شو Thomas shaw:

ولد بمنطقة كندال بإنجلترا حوالي 1692م، وتوفي بأكسفورد سنة 1751م، مكث بالجزائر 12 سنة (1720-1732م)، وتولى مهمة كاهن للوكالة الإنجليزية وتجول في العديد من الولايات العثمانية، الأمر الذي مكنه من جمع العديد من الملاحظات والمعلومات القيمة عن أقاليم المغرب والمشرق العربي والتي سجلها أثناء أسفاره العديدة ونشرها بعنوان: "رحلات أو ملاحظات تتعلق بأجزاء من شمال إفريقيا والمشرق. حيث صدرت طبعتها الإنجليزية بأكسفورد سنة 1738م، وظهرت ترجمتها الفرنسية الأولى سنة 1743م، قبل أن يختصرها ويعلق عليها ماك كارثي Mac Carthy)) سنة 1830م (هابنسترايت، د.س، صفحة 54).

في جزأين من كتابه هذا؛ تضمن أوصافا دقيقة وتفاصيل عن بلاد الجزائر، وخاصة عن ريفها ومنتجاتها (أحميدة، 2003، صفحة 10) فاختص بذكر التضاريس التربة والمناخ. إضافة إلى ذلك قام بوصف الحياة الاجتماعية من تقاليد وعادات وأخلاق المجتمع الجزائري آنذاك، مثلما تضمن أيضا معلومات عن الحياة السياسية والعسكرية والإدارية بداية من حكومة الداي وضُباطها إلى حديثه عن قوة الجزائر وصولا إلى وصف مدنها ومقاطعاتها كمعسكر، الجزائر، قسنطينة، تلمسان...(Show, 1830) ويذكر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م) في حديثه عن حدود وامتدادات مملكة الجزائر أن الدكتور شاو يعرف في هذا المجال أكثر من أي جغرافي آخر (شالر، 1982، صفحة 27).

3. القيمة الإخبارية للمصادر الغربية ودورها في تدارك ثغرات المصادر المحلية:

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

اتجهت المصادر الغربية نحو تغطية أكبر قدر ممكن من الجوانب من تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، خاصة الجانب السياسي العسكري، الاقتصادي، الاجتماعي وبعض الإشارات إلى مناحي الحياة الثقافية والتعليمية. هذا التنوع أضفى عليها صبغة الشمولية في المحتوى، والدقة في عرض تفاصيل الأحداث التاريخية. وذلك بغض النظر عما تحمله من أفكار أيديولوجية أو ما يتوافق ومصالحها الشخصية. وبالمقابل من ذلك فإننا نجد المصادر المحلية وان تطرقت لما ذكرناه آنفا إلا انها تبقى ناقصة في عرضها لبعض القضايا والأحداث مقارنة بالمصادر الغربية التي اسهبت فيها.

نجد كاثكارت في مذكراته يعطينا وصفا دقيقا جدا لقصر الداي فَيُعرفنا بأبوابه، غرفه دهاليزه، حديقته وحتى الأسلوب المعماري الذي بُنيَ به والتحسينات التي أُجريت عليه في عهد حسن باشا (كاثكارت، 1982، الصفحات 90-96). وبالنظر لما جاء في مذكرات شالر فإننا نجد معلومة نُرجح أنَّ المصادر المحلية لم تُشِر إليها وتتعلق أساسا باللغات السائدة في الجزائر والتي لم تقتصر على العربية والتركية فقط إنما يُضاف إليهما اللغة الفرنكية والتي على حد قوله هي مزيج بين اللغة الاسبانية، الفرنسية، إيطالية وعربية (شالر، 1982، صفحة 39).

ومن القضايا أيضا والتي تشير اليها المصادر الغربية بإسهاب ما تعلق بالجانب العسكري، وبالأخص عملية تجنيد المتطوعين، ففي ذات السياق فإن هذه المصادر تزودنا بأوصاف دقيقة ومتعددة لهؤلاء المجندين، نستشف منها بأن جميعها تتفق كون هؤلاء المجندين ينتمون للطبقات الاجتماعية الدُنيا (De Tassy, 1725, p. 205) (شالر، 1982، صفحة 52).

4. مدى موضوعية وذاتية الطرح في المصادر الغربية.

على الرغم من الأهمية التي تكتسيها المصادر الغربية، غير أنه من الأجدر أن نوضح ونشير إلى الاختلاف الاثني، الديني، اللغوي والأيديولوجي بين مؤلفيها وبين المجتمع والدولة الجزائرية اللّذين يكتبون عليهما. وهذا سينعكس بشكل واضح في أسلوب المؤلف أثناء طرحه للقضايا والاحداث التاريخية، مما سيحدد بطريقة أو بأخرى مدى موضوعية أو ذاتية هذه الكتابات.

ركزت معظم الكتابات الغربية على جوانب وموضوعات معينة اتخذت حيزا واسعا في مؤلفاتهم، تتعلق أساسا بنشاط الأسطول الجزائري الذي يصفونه على أنَّه أعمال قرصنة". ومسألة الأسرى وغيرها من القضايا التي عكست ذاتية وتحيز البعض من الكتابات. فنقلا عن مولاي بلحميسي فإنّ العاصمة في مؤلفاتهم هي **" حجر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى وجمهورية قطاع الطرق، وحكام البلاد هم أصل الاستبداد همهم الوحيد هو نهب الأموال، وأمّا رياس البحر وعظماء البحرية فإحصاء عبارات الطعن فيهم وسبهم يتعذر فهم المتعطشون للدماء وهم القراصين الناهبون..."** (بلحميسي، موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني، 1988، صفحة 102). ويُوافقه الرأي القنصل الأمريكي وليام شالر في أنَّ الجزائريين قراصنة وقطاع طرق-دفعهم غرور البربرية والجهل إلى احتقار الفنون والعلوم ومواكبة المجتمعات المتحضرة-، لا يستحقون التفاتا من التاريخ. مؤكِدا أنَّ الجزائر تقوم أساسا على القرصنة بل هي المورد الأساسي لها وأنهم يلجؤون إليها ضد أي دولة لا تشتري رضاهم بمعاهدة، بل وذهب إلى أبعد من ذلك حيث ربط زوال الحكومة الجزائرية بزوال "القرصنة" (شالر، 1982، الصفحات 58-186). وفقا لشهادة الأسير هايدو الذي يتحدث عن الأسرى المسيحيين الذين تعرضوا للأسر في الجزائر العاصمة بإعتباره كان ممن وقع أسيرا سنة 1578؛ حيث يشير أن الأسرى عانوا من البؤس الشديد وأساليب التعذيب (De Haëdo, 1911, p. 05).

وفي ذات السياق وحسب شهادة فرنثيسكو خيمينيث؛ قام باي الجزائر بضرب أحد الأسرى ضربا مبرحا، وعلقه مرة أخرى في أعلى السور طوال ساعات عديدة وهدده بالقتل إذا لم يعتنق الإسلام، ويضيف قائلا أنّه كان في وهران أكثر من 200 أسير في خدمة مصطفى باي الملقب ببوشلاغم (ينظر للتعليق رقم 05)، وتلقوا جميعهم نفس المعاملة القاسية حيث كان يستعملهم في الأعمال الشاقة كإصلاح الأسوار والحصون وعدة بناءات أخرى (دي ايبليزا و الوسلاتي، 1978، صفحة 194).

ومن وجهة نظرنا فإننا نرجح أن تكون كل هذه الشهادات التي لا تخلوا من الذاتية جاءت نابعة من الحقد جراء الحالة المزرية التي كانوا يعيشونها فركزوا على ذم الملوك وتقديم صورة سيئة عن الجزائر. ونفيا لما ذكروه فإن الرسالة التي قدمها الحاج أحمد باي إلى شيخ عنابة وعلمائها تؤكد أن الأسرى كانوا يحظون بمعاملة حسنة ومما جاء فيها مايلي: **"... وأمَّا النصارى الذين في عنابة فإيَّاكم ثم إيَّاكم أن يتعدى عليهم أحد أو يظلمهم أو يضيع لهم**

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

شيء من مالهم، فان أرادوا المقام في عنابة فعليهم أمان الله لا ينالهم مكروه، وإن أرادوا الانتقال إلى بلادهم برضاهم وطواعيتهم فلا يمنعهم أحد ولا يتعدى عليهم..." (Bigonet, 1899, pp. 176-177) وذات الرأي يذهب إليه نقيب الأشراف أحمد شريف الزَّهار (الشريف الزهار، 1974، صفحة 97).

وبالمقابل من ذلك يوجد من الباحثين الغربيين ممن أُتصفوا بنوع من الموضوعية في كتاباتهم بل ووقفوا موقفا مخالفا بل وناقدا لكل المصادر سابقة الذكر في نظرتها للجزائر ونشاطها البحري ومنهم البريطاني جوزيف مرقان الذي عاش في الجزائر مدة طويلة. قام هذا الأخير بانتقاد مصادر اعتمد عليها في بحثه أمثال هايدو، لوجي دوتاسي... حيث رأى أنَّ الأوروبيين الذين سبقوه كانوا مدفوعين بروح الجهل والحقد الديني والأحكام المسبقة. إضافة إلى ذلك فقد عاب على كل من يقول بأنَّ الجزائريين عبارة عن "عصابة من القراصنة الجبناء" ويضيف بأنه من حق الجزائريين أن يكونوا شعبا بحريا قويا، فهم يعقدون السلام ويعلنون الحرب مثل الأمم الأخرى (أبو القاسم، مدينة الجزائر في كتاب انجليزي قديم، 1972، الصفحات 28-29).

ويلخص المؤرخ ناصر الدين سعيدوني ذلك في قوله أنَّكلاً من كاثكارت، هابنسترايت، توماس شو، و سيمون بفايفر؛ كانوا أقرب إلى الاتزان وأميل إلى الموضوعية مقارنة بغيرهم كرجال الدين المنتمين إلى إرساليات تبشيرية وهيئات دينية أمثال مارمول كاربخال، الأب دان ودارندا...إلخ (سعيدوني ن.، 2016، الصفحات 68-69).

ويقيِّم المؤرخ ناصر الدين سعيدوني الدراسات الغربية في كتابه ورقات جزائرية أنها لم تكن تعكس بصدق وضعية البلاد وحالة السكان فهي موضوعة من قبل أوروبيين لم يعيشوا الاحداث التاريخية ولم يتفاعلوا معها، بل كانوا يشاهدونها من بعيد ويسجلون منها ما يتماشى وطباعهم ونظرتهم الخاصة للحياة وفي أغلبها دراسات مغرضة لخدمة مصالح استعمارية مما يحُط من قيمة هذه الدراسات وينزلها في مستوى الدعاية المغرضة. ويضيف أن انعدام التخصص واعتماد هؤلاء على دافع الهوية الشخصية في تسجيل الأحداث ووصف الانطباعات والتعليق عليها، جعل هذا الإنتاج أقرب إلى الثقافة العامة منه إلى الثقافة الكتابة التاريخية (سعيدوني ن.، 2009).

ونجد أيضا الكاتب أبو العيد دودو في كتابه "الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان يتحدث عن هذه الدراسات الغربية وخص بالذكر الألمانية التي هي محور دراسته أن كتاباتهم لم تكن انصافا للجزائر أو حبا فيها إنما جاءت بهدف أن تكون دليلا واضحا لمواطنيها من أجل إقامة مستعمرات بها وهذا ما يجعلها تحمل العديد من الأفكار المتطرفة والخاطئة لذلك لا ينبغي علينا أن نأخذ كل ما يرد فيها على أنه قضية مسلمة، وإنما دائما ينبغي أن نضع في أذهاننا أن المؤلف معرض للأخطاء في سرد المعلومات التي يقدمها، وقد يعود هذا الخطأ لجهله بلغتنا الوطنية وقلة اطلاعه على الاحداث القومية اطلاعا مباشرا أو لتسرعه في الحكم دون تحري منه عن الحقائق التاريخية. ويضيف أبو العيد دودو أن المؤرخ الجزائري حر بعد اطلاعه على هذه المادة التاريخية في رفضها أو تقبلها بعد مناقشتها وتحليلها بطريقة علمية بحتة (دودو، 1975، الصفحات 7-8).

وختام هذه الورقة البحثية هو مجموعة من الاستنتاجات توصلنا إليها في إطار دراستنا هذه وجاءت على النحو التالي:

ساهمت المصادر الغربية بشكل كبير في إعطاء صورة واضحة عن تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية من خلال التطرق للجانب السياسي والعسكري بإسهاب ورصد مفصل لهما، التركيز على المجتمع الجزائري وعلاقاتهم فيما بينهم وطباعهم وتقاليدهم وغيرها مما يتميز به المجتمع الجزائري والاهتمام بذكر العلاقات الخارجية بين الجزائر والدول الغربية من خلال رصد حالات السلم والحرب بين الطرفين، مما يؤدي في كثير من الأحيان إلى عقد الاتفاقيات والمعاهدات والتي قام بذكرها المؤلفون الغربيون في مؤلفاتهم. فعملت بذلك على توفيرها للمادة العلمية من مصادرها الأصلية من تقارير، مراسلات...إلخ ودراستها وبالتالي ساهمت في توسيع آفاق البحث وسهلت على الباحثين فيما بعد مهمة الإنتاج في الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر. وهذا ما أهملت المصادر المحلية التطرق اليه وحتى وإن وجد، فإنها تشير إليه بشكل سطحي يقتضيه السياق التاريخي للأحداث.

على الرغم من هذه الأهمية إلا أنها لا تخلو من الذاتية من خلال ما تحمله من أهداف تبعدها عن سمة الموضوعية فمعظمها كانت بهدف الرغبة في دراسة المجتمع الجزائري بغية السيطرة والاحتلال، وهذا امتداد لسلسلة الحروب الدينية الصليبية. والشاهد من الأمر أنهم ركزوا في جُلِ مؤلفاتهم على الجانب السياسي والعسكري

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

وحتى الاجتماعي ونجد ذلك خاصة في كتابات الفرنسيين والتي أُتخذت قاعدة فيما بعد لوضع المشاريع والمخططات الاستعمارية.

ملحق خاص بنماذج من المصادر الغربية خلال الفترة المدروسة والتي ذُكرت في هذه الورقة البحثية وغيرها مما لم نُشر إليه. جمعناها في الجدول التالي:

المؤلف	اسم الكتاب الأصلي	الترجمات ان وجدت
مارمول كاربخال		ترجم إلى اللغة العربية في جزئين بعنوان: "إفريقيا".
كاثكارت	Captives	ترجمه إسماعيل العربي تحت عنوان: "مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب"
وليام شالر	. Sketches of Algiers	ترجمه إسماعيل العربي بعنوان: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816_1824)". ترجمه إلى الفرنسية بياشي Bianchi تحت عنوان: Esquisse de l'Etat d'Alger
سيمون بفايفر	Meine Reisen und meine fÜnfjahbrige Gefangenschaft in Algier. (النسخة الأصلية باللغة الألمانية)	ترجمه أبو العيد دودو بعنوان: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر
فيليبو بانانتي	Avventure e osservazioni di Pilippo Pananti sopra le coste. (النسخة الأصلية باللغة الإيطالية)	ترجم من أصله الإيطالي إلى الفرنسية بعنوان: Relation d'un séjour à Alger, contenant des observations sur l'état actuel de cette Régence. أما عنوان ترجمته باللغة الإنجليزية فهو كالآتي: Narrative of a residence in Algiers.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

لوجي دو تاسي	Histoire du Royaume d'Alger	/
الأب دان	Histoire de la barbarie et des corsaires des royaumes. et des villes d'Alger	/

التعليقات:

(1) يُرجح أن يكون الرحالة مارمول كاربخال من بين الجواسيس الإسبان وذلك استنادا لما جاء في مقدمة كتابه "إفريقيا" في النسخة المترجمة بالعربية: أنّ المدة التي قضاها مارمول في شمال إفريقيا هي 22 سنة، كان في مهمة كلفها به الملك تبيّن فيما بعد أنه كان جاسوسا. للمزيد ينظر إلى: (كاربخال، إفريقيا (ج1)، 1984، صفحة 5)

(2) فرنثيسكو خمينيث (Francisco Jiménez): كاتب إسباني ولد في إقليم طليطلة عام 1685م، خلَّف مجموعة من الوثائق الهامة عن تاريخ تونس والجزائر ووهران، أهمها يومياته التي جمعها في سبعة مجلدات؛ ثلاثة منها تخص وهران والجزائر عندما أقام بهما من سنة 1717 الى 1720م (بوتشيشة، 2018، صفحة 215).

(3) مارمول كاربخال: ولد في غرناطة عام 1520م، جاء مع جيش كارلوس أثناء حملته الشهيرة على تونس، وبقي بعد ذلك في إفريقيا لمدة 20 عاما زار خلالها جزءا من ساحل البربر (شمال افريقيا)، وعبر صحاري ليبيا ووصل الى حدود غينيا (Diccionario universal de Historia y de geografía, 1854, p. 137).

(4) وليام شالر: ولد سنة 1773 في بريدج بورت Bridjport بولاية كونيتيكت Connecticut بالولايات المتحدة الامريكية، عيّنه الرئيس ماديصون قنصلا عاما للجزائر. وبعد احتلال الجزائر سنة 1830 سافر الى هافانا اين توفي هناك. لتفاصيل أكثر عن حياته ينظر الى: (knapp, 1833, pp. 296-298).

(5) مصطفى بن يوسف المدعو بوشلاغم: باي بيلك الغرب (1733-1686م)، قام بتحويل عاصمة البايلك من مازونة إلى معسكر، وقد استرجع وهران والمرسى الكبير عام 1708 من يد الاسبان ونقل عاصمة البايلك إليها إلى غاية 1732م وهي السنة التي أعاد الإسبان احتلالها، فنقل عاصمته إلى مستغانم التي مات فيها عام 1733. (شوقي، 2016/2015، صفحة 239).

قائمة المصادر والمراجع:

Bibliographie

Bigonet. (1899). Une Lettre de Bey de Constantine en 1827. *Revue Africaine*(43), pp. 172-181.

De Haëdo, F. D. (1911). *De la Captivité à Alger.* (V. Moliner, Trad.) Alger: Topographie Adolphe Jourdan.

De Tassy, L. (1725). *Histoire du Royaume d'Alger.* Amesterdam: Henri Du Sauzet.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

Diccionario universal de Historia y de geografía. (1854). 5. México: F, Escalante y c.

knapp, s. (1833). *American Biography.* New york: Conner and cook. Franklin buildings.

Payssonnel, & Desfontaines. (1838). *voyage dans les régence de Tunis et d'Alger.* Paris: Libraire de Gid.

Shaler, W. (1826). *Sketches of Algiers, Political, Historical, and Civil.* Boston: Cummings Hiliard and company Washington street.

Shaler, W. (1830). *Esquisse de l'Etat d'Alger.* (Bianchi, Trad.) Paris: Librairie Ladvocat.

Show, T. (1830). *Thomas Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, ou description géographie, physique, philologique.* (c. Marlin, Éd., & J. M. Carthy, Trad.) Paris.

أبو العيد دودو. (1975). *الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855).* الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

أحمد الشريف الزهار. (1974). *مذكرات أحمد شريف الزهار 1168-1246ه/1754-1830.* (أحمد توفيق المدني، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

أحميدة أعميراوي. (2005). *قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث.* الجزائر: دار الهدى.

أعميراوي أحميدة. (2003). *الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا انموذجا).* عين مليلة، الجزائر: دار الهدى.

.مطبعة دحلب :الجزائر .*النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني* .(1994) .أ ,السليماني

العربي إسماعيل. (مارس-أفريل, 1974). بجاية من خلال النصوص الغربية. *مجلة الاصالة*(19)، الصفحات 71-82.

جيمس ليندر كاثكارت. (1982). *مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب.* (اسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

سعد الله أبو القاسم. (ماي- جوان, 1972). مدينة الجزائر في كتاب انجليزي قديم. *مجلة الاصالة*، الصفحات 27-36.

سعد الله أبو القاسم. (ماي-أوت, 1973). منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر. *الأصالة*((عدد خاص) 14-15)، الصفحات 7-26.

عائشة غطاس. (ماي, 1988). نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة الجزائر الخارجية خلال العهد العثماني. *مجلة الدراسات التاريخية*(5)، الصفحات 116-127.

عبد الكريم شوقي. (2016/2015). الاستخبارات الجزائرية (من 1492إلى 1830م (اطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر). كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر: جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014

عديدة الشارف. (حزيران, 2018). الكتابات الغربية حول تاريخ الجزائر خلال فترة التواجد العثماني 1515-1830. *مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية*(39)، الصفحات 449-463.

علي بوتشيشة. (جانفي, 2018). مدينة وهران من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة والمؤرخين. *الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية*، الصفحات 208-215.

غربي الغالي، و عطا الله فشار. (2017). المدرسة التاريخية وموقفها من الوجود العثماني في الجزائر. *مجلة دراسات وأبحاث، العدد 26*، الصفحات 249-287.

مارمول كاربخال. (1984). *إفريقيا (ج1)*. (محمد حاجي، محمد زينبر، و محمد الأخضر، المترجمون) الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

مارمول كاربخال. (1989/1988). *إفريقيا (ج2)*. (محمد حاجي، محمد زينبر، و محمد الأخضر، المترجمون) الرباط: دار المعرفة.

مولاي بلحميسي. (ماي-أوت, 1973). المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العهد العثماني. *الأصالة*(عدد خاص 14-15)، الصفحات 101-109.

مولاي بلحميسي. (1988). موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني. *الدراسات التاريخية*، الصفحات 101-109.

ميكال دي ايبليزا، و الهادي الوسلاتي. (جويلية, 1978). ملاحظات أب إسباني يزور وهران في عهد مصطفى بوشلاغم. *المجلة التاريخية المغاربية*(12)، الصفحات 194-206.

ناصر الدين سعيدوني. (2009). *ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني*. الجزائر، الجزائر: دار البصائر.

ناصر الدين سعيدوني. (2016). الرحلات الاستكشافية مقاربة فكرية وحضارية "الرحلات الأروبية في الجزائر أنموذجا". *قضايا تاريخية*(3)، الصفحات 64-73.

هابنسترايت. (د.س). *رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145ه-1732م)*. (ناصر الدين سعيدوني، المترجمون) تونس: دار الغرب الإسلامي.

وليام شالر. (1982). *مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)*. (اسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

P-ISSN: 2437-0436 / E-ISSN: 2602-7720/ Legal Deposit N°4343-2014